حديث أمِّ السنة

{ دراسة حديثية تربوية }

إعداد الدكتور/

إبراهيم أحمد شبانة السيد

الأستاذ المساعد بقسم الدراسات الإسلامية في كلية العلوم والآداب بالقريات جامعة الجوف والمدرس بقسم الحديث الشريف وعلومه في كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة جامعة الأزهر

إعداد الدكتور/

وليد حسن عاشور حسن الخطيب

الأستاذ المساعد بقسم التربية وعلم النفس في كلية العلوم والآداب بالقريات جامعة الجوف والأستاذ المساعد بقسم علم النفس التربوي في كلية التربية جامعة عين شمس

حـــديث أمِّ الســـــنة { دراسة حديثية تربوية }

إبراهيم أحمد شبانة السيد

قسم الحديث وعلومه في كلية العلوم والآداب بالقريات جامعة الجوف وكلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة جامعة الأزهر

وليد حسن عاشور حسن الخطيب

قسم التربية وعلم النفس في كلية العلوم والآداب بالقريات جامعة الجوف وقسم علم النفس التربوي في كلية التربية جامعة عين شمس

البريد الإلكتروني : iaelsayed@iu.edu.sa

walid_elkhateb@edu.asu.edu.eg

الملخص:

تناول هذا البحث دراسة حديث جبريل عليه السلام وهو بمثابة أم الســـنة النبوية دراسة حديثية تربوية، وكانت الدراسة الحديثية عبارة عن تخـــريج الحديث وذكر لطائفه وبيان معناه واستخراج أهم المسائل الفقهية فيه، ثـــم بيان ما يؤخذ من الحديث الشريف. أما الدراسة التربويـــة فتناولـــت أهـــم المسائل التربوية في الحديث من آداب الحوار، وأهمية طلب العلم، وأهمية سؤال أهل العلم عن المسائل المهمة لدى الناس من أجل القضـــاء علـــى الأفكار المتطرفة التي لا زمام لها ولا خطام.

الكلمات المفتاحية: أم السنه– علامات الساعة– الاحسان– القضاء والقدر.

The hadith of the mother of the Sunnah {educational hadith study}

Ibrahim Ahmed Shabana alsyd
Department of Hadith and its Sciences in the College of Science and Arts in Qurayyat, Al-Jouf University, and the College of Fundamentals of Religion and Da`wah in Mansoura, Al-Azhar University
Walid Hassan Ashour Hassan Al-Khatib
The Department of Education and Psychology at the College of Science and Arts in Qurayyat, Al-Jouf University, and the Department of Educational Psychology in the College of Education, Ain Shams University
Email : iaelsayed@iu.edu.sa
walid_elkhateb@edu.asu.edu.eg

Abstract :

This study dealt with the study of the hadith of Gabriel, peace be upon him, which is like the mother of the Prophet's Sunnah, an educational hadith study. The hadith study consisted of introducing the hadith, mentioning its sect, clarifying its meaning and extracting the most important jurisprudential issues in it, then explaining what is taken from the noble hadith. As for the educational study, it dealt with the most important educational issues in the hadith such as the etiquette of dialogue, the importance of seeking knowledge, and the importance of asking scholars about important issues for people in order to eliminate extremist ideas that have no control or rhetoric.

key Words: Mother Of The Sunnah - Signs Of The Hour - Benevolence - Judgment And Destiny.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ (١)

مُقَدِّمَة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَّا بَعْدُ (٢) .

فإن لطلب العلم وتعليمه صور مختلفة ومتنوعة هدفها إيصال المعلومة بأقرب طريق وأيسر جهد، مراعاة لأحوال السامعين وما يحتاجون إليه من أمور تلزم حياتهم وتنير دربهم، وإن العلم إذا صور بطريقة محسوسة ملموسة كان له وقع كبير في نفوس المستمعين، وهذا ما أوضحه لنا حديث جبريل الأمين عليه السلام مع سيدنا الحبيب ﷺ، ولذا كانت هذه الدراسة الموجزة حديثيًا وتربويًا .

- **عنوان البحث:**

(حديث أمّ السنة دراسة حديثية تربوية) (٣).

- **أسباب اختيار البحث :**

من أسباب اختيار هذا الحديث ما يلي :

١- خدمة حديث رسول الله ﷺ ، والترقي في طلب العلم .

٢- جمع مفترق كلام الأئمة في تهذيبٍ يسيرٍ تيسيرا لطلبة العلم .

٣- فضل هذا الحديث الذي هو من جوامع كلمه ﷺ، واشتماله على شرح جميع وظائف العبادات الظاهرة والباطنة.

---

١) الآية الأولى من سورة الفاتحة .

٢) رواه مسلم: كتاب الجمعة باب تخفيف الصلاة والخطبة (٥٩٣/٢) ح ٨٦٨ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وهذه مقدمة خطبة الحاجة وكان النبي ﷺ يعلمها أصحابه ﷺ .

٣) سمى الإمام ابن دقيق العيد حديث جبريل عليه السلام مع النبيﷺ بأم السنة، كما سميت الفاتحة أم القرآن . شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد (٢٨/١) .

٤- جانب الأدب التربوي الذي تجلى لنا من طريقة جبريل عليه السلام مع النبي ﷺ .

٥- الدعوة إلى القضاء على الفتاوى الشاذة والمنحرفة، وإصلاح التفكير بسؤال أهل العلم.

- **هدف البحث :**

مما يهدف إليه هذا البحث (نفع الله به) ما يلي :

١- إرضاء الله تعالى ، ونيل شفاعة سيدنا رسول الله ﷺ .

٢- بيان ضوابط طلب العلم الشرعية والأدبية.

٣- بيان موقف المسلم من الأمور الغيبية .

٤- بيان حرص الإسلام على تثقيف أهله بطريقة آمنة للقضاء على الفكر التطرفي.

- **الدراسات السابقة :**

لم أقف على دراسة خاصةٍ وافيةٍ لهذا الحديث الشريف سوى تعليقات السادة العلماء عليه في شروحاتهم له في أبواب متفرقة .

- **خطة البحث:**

خطة البحث تتضمن مبحثين وخاتمة:

أما المبحث الأول :حديث أم السنة دراسة حديثية . وتضمن أربعة مطالب:

- **المطلب الأول:** نص الحديث الشريف وتخريجه ولطائف إسناده .
- **المطلب الثاني:** بيان اللغويات والمعنى العام للحديث.
- **المطلب الثالث:** سبب ورود الحديث وفضله.
- **المطلب الرابع:** فقه الحديث وما يستفاد منه، واشتمل على ثنتي عشر مسألة.

المبحث الثاني : حديث أم السنة دراسة تربوية .

ثم خاتمة البحث والتوصيات، فمراجع البحث .

• **منهج البحث :**

من خلال المنهج الاستقرائي والمنهج التحليلي كان المنهج على النحو التالي :

١- جمع أقوال العلماء ما أمكن في هذا الموضوع من كتب المتون والشروح، والربط بينها.

٢- أما منهجية التخريج في البحث عموماً : فأكتفي بتخريج الحديث إذا كان في الصحيحين أو في أحدهما ، وإلا فأجتهد في تخريجه قدر الطاقة ،وإذا قلت: رواه البخاري ففي الصحيح ، ومسلم ففي الصحيح وأبو داود في السنن والترمذي ففي السنن وابن ماجه ففي السنن ، وأحمد ففي مسنده ، وابن خزيمة ففي الصحيح ،والبيهقي ففي السنن،،،،وهكذا ..

٣- وأما منهجية الحكم على الحديث: فإذا كان هناك تنصيص من أحد الأئمة بذلك فأكتفي به مبيناً سبب الحكم، وإلا فأجتهد في دراسة الإسناد والحكم عليه بما يستحق.

٤- بيان معاني الألفاظ الغريبة في الحاشية من كتب الغريب والشروح .

٥- ذكر الآيات التي لها ارتباط بالحديث المذكور، ذاكرًا رقمها واسم السورة .

هذا ،،، وقد توخينا سهولة العبارة ودقة اللفظ ووضوح المعنى ، واللهَ العظيمَ نسأل أن يجعل ما كتبناه وسطرناه زادًا لحسن المصير إليه وعتادًا إلى يمن القدوم عليه، وانفعنا اللهم بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ووالدينا، ومشايخنا، وأحبائنا، وَالْمُسْلِمِين أَجْمَعِينَ، فلَا رب سواك ولَا مَرْجُوًّا إلَّا أنت.

المبحث الأول : حـــــديث أمِّ السُّـــــنَّة {دراســـة حديثيـــة}

المطلب الأول : نص الحديث الشريف وتخريجه ولطائف إسناده.

- **أولا : نَصّ الحديث الشريف .**

قال الإمام مسلم رحمه الله: حَدَّثَنِي أَبُو خَيْثَمَةَ زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ(١)، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ(٢)، عَنْ كَهْمَسٍ(٣)، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُرَيْدَةَ(٤)، عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ(٥)، ح وحَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ مُعَاذٍ الْعَنْبَرِيُّ(٦) – وَهَذَا حَدِيثُهُ – حَدَّثَنَا أَبِي(٧)، حَدَّثَنَا كَهْمَسٌ، عَنِ ابْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ، قَالَ: كَانَ أَوَّلَ مَنْ قَالَ فِي الْقَدَرِ بِالْبَصْرَةِ مَعْبَدٌ الْجُهَنِيُّ، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَحُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحِمْيَرِيُّ حَاجَّيْنِ – أَوْ مُعْتَمِرَيْنِ – فَقُلْنَا: لَوْ لَقِينَا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَسَأَلْنَاهُ عَمَّا يَقُولُ هَؤُلَاءِ فِي الْقَدَرِ، فَوُفِّقَ لَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ

---

١) زهير بن حرب بن شداد الحرشي، أبو خيثمة النسائي ، من طبقة كبار الآخذين عن تبع الأتباع، (١٦٠_ ٢٣٤ هـ) ، ثقة ثبت حافظ.[تهذيب التهذيب ٣ / ٣٤٣]

٢) وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسي أبو سفيان الكوفي من قيس عيلان، كان أعور ، وثقه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وأبو حاتم وابن سعد والعجلى والذهبي وأبو داود ويعقوب بن شيبة وذكره ابن حبان في الثقات ، (١٢٩_ ١٩٦ه).[الكاشف (٣٥٠/٢) رقم ٦٠٥٦، تهذيب التهذيب (١٠٩/١١) رقم ٢١١].

٣) كهمس بن الحسن التميمي، أبو الحسن البصرى، قال أحمد وابن معين وأبو داود : ثقة ، و قال أبو حاتم : لا بأس به ، مات سنة تسع و أربعين و مئة.[تهذيب التهذيب (٨ / ٤٥٠)]

٤) عبد الله بن بريدة بن الحصيب الأسلمي ، أبو سهل المروزي ، قاضى مرو و عالمها من الوسطى من التابعين ، ثقة حافظ إمام (١٠_١١٥ه). [الجرح والتعديل (١٣/٥) ج رقم ٦١، سير أعلام النبلاء (٥٠/٥) ج رقم١٥)].

٥) يحيى بن يعمر من بنى عوف بن بكر ، أبو سليمان ، قال أبو حاتم وأبو زرعة والنسائي وابن حجر: ثقة، زاد ابن حجر : وكان يرسل توفي عام ١٠٠ هـ. [تاريخ ابن معين (٢١٥/٤)، تهذيب الكمال (٥٣/٣٢)].

٦) عبيد الله بن معاذ بن معاذ بن نصر بن الخشخاش العنبري الحافظ بو عمرو البصري، قال أبو حاتم وابن قانع وابن حجر: ثقة، زاد ابن حجر:حافظ (ت٢٣٧هـ) .[تهذيب التهذيب (٢٧/٣)].

٧) معاذ بن معاذ بن نصر بن الخشخاش العنبري، ولد ١١٩هـ، قال ابن سعد وأبو حاتم والنسائي وابن حجر : ثقة مات سنة ١٩٦هـ [الجرح والتعديل (٢٤٨/٨) ج رقم١٥٧١، تاريخ بغداد (١٦٥/١٥)].

عُمَرَ[١] بْنِ الْخَطَّابِ دَاخِلًا الْمَسْجِدَ، فَاكْتَنَفْتُهُ أَنَا وَصَاحِبِي أَحَدُنَا عَنْ يَمِينِهِ، وَالْآخَرُ عَنْ شِمَالِهِ، فَظَنَنْتُ أَنَّ صَاحِبِي سَيَكِلُ الْكَلَامَ إِلَيَّ، فَقُلْتُ: أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ قِبَلَنَا نَاسٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، وَيَتَقَفَّرُونَ الْعِلْمَ، وَذَكَرَ مِنْ شَأْنِهِمْ، وَأَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنْ لَا قَدَرَ، وَأَنَّ الْأَمْرَ أُنُفٌ، قَالَ: «فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ، وَأَنَّهُمْ بُرَآءُ مِنِّي»، وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ «لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَ اللهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ» ثُمَّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ[٢] ﷺ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ[٣]، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :«الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ﷺوَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ، وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ[٤]، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»،

---

١) عبد الله بن عمر بن الخطاب ، صحابي ابن صحابي ، أحد المكثرين من الصحابة والعبادلة ، من أشد الناس اتباعا للأثر ، كان أملك شباب قريش لنفسه، ت ٧٣هـ بمكة . [الطبقات الكبير (١٣٣/٤)].

٢) عمر بن الخطابﷺ، أبو حفص أمير المؤمنين ، أسلم في السادسة من النبوة، وله سبع وعشرون سنة، استشهد في أواخر ذي الحجة عام ٢٣هـ . [أسد الغابة (٤/ ١٤٥)، الإصابة (٢/ ٥١١)].

٣) استند في ذلك إلى ظنه أو إلى صريح قول الحاضرين ، ففي رواية عثمان بن غياث: (فقالوا ما نعرف هذا). [فتح الباري (١١٦/١)].

٤) قدم الملائكة على الكتب والرسل نظرا للترتيب الواقع لأنه سبحانه وتعالى أرسل الملك بالكتاب إلى الرسول وليس فيه متمسك لمن فضل الملك على الرسول، بل المراد من التقديم أن الخير والرحمة من الله ومن أعظم رحمته أن أنزل كتبه إلى عباده والمتلقي لذلك منهم الأنبياء والواسطة بين الله وبينهم الملائكة. [فتح الباري (١١٧/١، ١١٨)].

قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ[1] مِنَ السَّائِلِ» قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا، قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ»، قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: «يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟» قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ».

- **ثانيًا: تخريج الحديث :**

أخرجه مسلم: كتاب الإيمان بَابُ معرفة الْإِيمَانِ، وَالْإِسْلَامِ، والقَدَرِ وَعَلَامَةِ السَّاعَةِ (٣٦/١) ح رقم ٨، وأبو داود: كتاب أول السنة باب في القدر (٨٠/٧) ح رقم ٤٦٩٥، والترمذي: كتاب أبواب الإيمان بَابُ مَا جَاءَ فِي وَصْفِ جِبْرِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ الإِيمَانَ وَالإِسْلاَمَ (٣٠٢/٤) ح رقم ٢٦١٠، والنسائي دون ذكر القصة : كتاب الإيمان وشرائعه بَابُ نَعْتِ الْإِسْلَامِ (٩٧/٨) ح رقم ٤٤٩٠، وابن ماجه دون ذكر القصة: كتاب أبواب السنة بَابٌ فِي الْإِيمَانِ (٤٣/١) ح رقم ٦٣، وأحمد (٣١٧/١) ح رقم ٣٦٦، والبيهقي: كتاب الشهادات بَابُ: مَا تُرَدُّ بِهِ شَهَادَةُ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ (٣٤٢/١٠) ح رقم ٢٠٨٧١ كلهم من طريق كَهْمَس بْن الْحَسَنِ عَنِ ابْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ عن ابن عمر عن عمر ﷺ.. الحديث .

وبلفظ فيه زيادة، رواه أحمد: (٢٤٢/١) ح رقم ١٨٤ قال : قرأتُ على يحيى بن سعيد عن عثمان بن غيَاث حدثني عبد الله بن بريدة به ...: (قال: وسأله رجلٌ من جُهَينة أو مُزَينة فقال: يا رسول الله، فيما نعمل، أفي شيء قد خلا أو مَضَى أو في شيء يُستأنف الآن؟ قال: "في شيء قد خلا أو مضَى"، فقال رجل أو بعض القوم: يا رسول الله، فيما نعمل؟ قال: "أهل

١) الباء زائدة لتأكيد النفي. [السابق (١٢١/١)].

الجنة يُيَسَّرون لعمل أهل الجنة، وأهل النار يُيَسَّرون لعمل أهل النار". قال يحيى: هو هكذا، يعنى كما قرأتَ عليّ.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: وإنما لم يخرِّجه البخاري للاختلاف فيه على بعض رواته [١]. ولكنهما اتَّفَقَا عَلَى إِخْرَاجِهِ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ [٢].

- **ثالثا: لطائف الإسناد :**

في هذا الإسناد لطائف دقيقة تدل على دقة الإمام مسلم وشدة تحريه، منها :

١- فرق الإمام مسلم بين حدثني وحدثنا، وأخبرني وأخبرنا ، حيث قال: حدثني أبو خيثمة، وفي الطريق الثاني قال: حدثنا .

٢- يسلك الإمام مسلم طريق الاختصار بين الأسانيد إذا لم يحدث خلالا، ولذا لم يختصر في هذا السند، وَذَلِكَ لِأَنَّ وَكِيعًا قَالَ: عَنْ كَهْمَسٍ، وَمُعَاذٌ قَالَ: حَدَّثَنَا كَهْمَسٌ، وهناك فرق لا يخفي بين عن وحدثنا، كما أنه أتى بذلك لِيُعْرَفَ الْمُتَّفَقُ عَلَيْهِ مِنَ الْمُخْتَلَفِ فِيهِ وَلِيَكُونَ رَاوِيًا بِاللَّفْظِ الَّذِي سَمِعَهُ .

---

١) حيث رواه عن كهمس جماعة من الحفاظ وتابعه مطر الوراق عن عبد الله بن بريدة وتابعه سليمان التيمي عن يحيى بن يعمر، وكذا رواه عثمان بن غياث عن عبد الله بن بريدة، لكنه قال: عن يحيى بن يعمر وحميد بن عبد الرحمن معا عن ابن عمر عن عمر، زاد فيه حميدا ، وحميد له في الرواية المشهورة ذكر لا رواية، وأخرج مسلم هذه الطرق ولم يسق منها إلا متن الطريق الأولى وأحال الباقي عليها وبينها اختلاف كثير .... وقد خالفهم سليمان بن بريدة أخو عبد الله فرواه عن يحيى بن يعمر عن عبد الله بن عمر قال: بينما نحن عند النبي ﷺ فجعله من مسند ابن عمر لا من روايته عن أبيه.... [فتح الباري (١/ ١١٥، ١١٦)].

٢) رواه البخاري : كتاب الإيمان بَابُ سُؤَالِ جِبْرِيلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الإِيمَانِ، وَالإِسْلاَمِ، وَالإِحْسَانِ، وَعِلْمِ السَّاعَةِ (١/١٩) ح رقم ٥٠ ، وكتاب تفسير القرآن بَابُ قَوْلِهِ: {إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ} [لقمان: ٣٤] (٦/١١٥) ح رقم ٤٧٧٧، ومسلم : كتاب الإيمان بَابٌ: الْإِيمَانُ مَا هُوَ وَبَيَانُ خِصَالِهِ (١/٣٩) ح رقم ٩ وفيه: «الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَبِلِقَائِهِ، وَرُسُلِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ.....». وهذا من الأدلة القوية لأهل السنة في إثبات رؤية الله تعالى في الآخرة إذ جعلت من قواعد الإيمان. [فتح الباري (١/١١٨)].

٣- فِي رِوَايَةِ وَكِيعٍ قَالَ: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ ، وَفِي رِوَايَةِ معاذ قال: عن ابن بُرَيْدَةَ، فَلَوْ أَتَى بِأَحَدِ اللَّفْظَيْنِ حَصَلَ خَلَلٌ فإنه إن قال: ابن بُرَيْدَةَ لَمْ نَدْرِ مَا اسْمُهُ؟ وَهَلْ هُوَ عَبْدُ اللَّهِ هَذَا أَوْ أَخُوهُ سُلَيْمَانُ بْنُ بُرَيْدَةَ؟ وَإِنْ قَالَ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُرَيْدَةَ كَانَ كَاذِبًا عَلَى مُعَاذٍ فَإِنَّهُ لَيْسَ فِي رِوَايَتِهِ عَبْدُ اللَّهِ، وكذا الكلام في يحيى بن يعمر، فكلا الطريقين اجتمعا في ابن بريدة، ولفظهما واحد، لكن ورد في بعض النسخ عن يحيى فحسب وليس فيها ابن يعمر، فأراد الإمام مسلم أن يؤكد على يحيى بن يعمر ليزيل الإنكار .

٤- شدة تحقيق الإمام مسلم واحتياطه حيث قال: حدثنا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ وَهَذَا حَدِيثُهُ ، وَمَقْصُودُهُ أَنَّ الرَّاوِيَيْنِ اتَّفَقَا فِي الْمَعْنَى وَاخْتَلَفَا فِي بَعْضِ الْأَلْفَاظِ وَهَذَا لَفْظُ فُلَانٍ وَالْآخَرُ بِمَعْنَاهُ.

٥- لفظ (ح) الموجود في الإسناد، تسمى حَاءُ التَّحْوِيلِ مِنْ إِسْنَادٍ إِلَى إِسْنَادٍ، فيقول القارئ إِذَا انْتَهَى إِلَيْهَا ح قَالَ وَحَدَّثَنَا فُلَانٌ هَذَا هُوَ الْمُخْتَارُ (١).

١) ينظر : شرح النووي على مسلم (١٥٣/١) .

المطلب الثاني : بيان اللغويات والمعنى العام للحديث .

- **أولا: بيان اللغويات :**

اشتمل الحديث الشريف على معان كثيرة منها :

[قَوْلُهُ (سَيَكِلُ الْكَلَامَ إِلَيَّ): أي يُفَوِّضُهُ إِلَيَّ .

(وَيَتَقَفَّرُونَ الْعِلْمَ): يَطْلُبُونَهُ وَيَتَتَبَّعُونَهُ، وروي (يتفقرون) أي: يَبْحَثُونَ عَنْ غَامِضِهِ وَيَسْتَخْرِجُونَ خَفِيَّهُ، وروى(يتقفون) أي: يَتَتَبَّعُونَ، وورد (يَتَقَعَّرُونَ): يَطْلُبُونَ قَعْرَهُ أَيْ غَامِضَهُ وَخَفِيَّهُ ، وورد(يَتَفَقَّهُونَ) .

قَوْلُهُ (أُنُفٌ): أَيْ مُسْتَأْنَفٌ لَمْ يَسْبِقْ بِهِ قَدَرٌ وَلَا عِلْمٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَإِنَّمَا يَعْلَمُهُ بَعْدَ وُقُوعِهِ،

قَوْلُهُ (أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ): ظَاهِرٌ فِي تَكْفِيرِ ابن عمر رضي الله عنهما الْقَدَرِيَّةَ(١) .

قوله (على فخذيه) : على فخذي نفسه(٢)، وجلس على هيئة المتعلم.

قوله: (فأخبرني عن الساعة) أي: عن زمن وجود يوم القيامة، سُمِّي بها مع طول زمنه اعتبارًا بأول أزمنته؛ فإنها تقوم بغتةً في ساعة، حتى

---

١) قال القرطبي: إنَّ تكفيرَ هذه الطائفة مقطوعٌ به؛ لأنَّهم أنكروا معلومًا ضروريًّا من الشرع. [المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم (١/١٣٦)].

٢) أفاده النووي وخالفه القرطبي ، وابن حجر مستشهدا برواية ابن حبان : (ووضع كفيه على فخذيه) وفي رواية لسليمان التيمي: ثم وضع يده على ركبتي النبي ﷺ) وكذا في حديث ابن عباس وأبي عامر الأشعري ثم وضع يده على ركبتي النبي ﷺ فأفادت هذه الرواية أن الضمير في قوله على فخذيه يعود على النبي ﷺ ، وبه جزم البغوي وإسماعيل التيمي ورجحه الطيبي. ينظر : [المفهم (٢/٣٧٢)، وفتح الباري (١/١١٦)]. قلت: وهذا هو الذي يقتضيه ظاهر السياق.

قال القرطبي : وإنما فعل جبريلُ ذلك والله أعلم ؛ تنبيهًا على ما ينبغي للسائل من قوَّةِ النَّفس عند السؤال، وعدمِ المبالاة بما يقطع عليه خاطره، وإن كان المسؤول مِمَّن يُحتَرَمُ ويُهَاب، وعلى ما ينبغي للمسؤولِ منَ التواضعِ والصَّفحِ عن السائل، وإن تعدَّى على ما ينبغي من الاحترام والأدب. [المفهم (١/١٣٩)].

إن من تناول لقمةً لا يمهل حتى يبتلعها: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴾(١).

وهي لغة: قطعةُ زمنٍ غير معينٍ ولا محدودٍ، وفي اصطلاح المؤقتين ونحوهم: جزءٌ من أربعةٍ وعشرين جزءًا من الليل والنهار(٢).

قوله (أماراتها): هي العلامة .

قوله ﷺ (ربتها): وفي رواية (ربها) ، سيدها ومالكها وسيدتها ومالكتها .

قوله ﷺ : (العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان) أما العالة فهم الفقراء، والرعاء بكسر الراء وبالمد ، ويقال فيهم رعاة بضم الراء وزيادة الهاء بلا مد،

قوله ﷺ :(مليا) : وقتا طويلا.

وَفِي رِوَايَةِ أَبِي دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيِّ أَنَّهُ قَالَ ذَلِكَ بَعْدَ ثَلَاثٍ، وَفِي شَرْحِ السُّنَّةِ لِلْبَغَوِيِّ بَعْدَ ثَالِثَةٍ، وَظَاهِرُ هَذَا أَنَّهُ بَعْدَ ثَلَاثِ لَيَالٍ، وَفِي ظَاهِرِ هَذَا مُخَالَفَةٌ لِقَوْلِهِ فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ بَعْدَ هَذَا: (ثُمَّ أَدْبَرَ الرَّجُلُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : رُدُّوا عَلَيَّ الرَّجُلَ فَأَخَذُوا لِيَرُدُّوهُ فَلَمْ يَرَوْا شَيْئًا ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: هَذَا جِبْرِيلُ)، فَيَحْتَمِلُ الْجَمْعُ بَيْنَهُمَا أَنَّ عُمَرَ ﷺ لَمْ يَحْضُرْ قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ لَهُمْ فِي الْحَالِ بَلْ كَانَ قَدْ قَامَ مِنَ الْمَجْلِسِ فَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ الْحَاضِرِينَ فِي الْحَالِ وَأُخْبِرَ عُمَرَ ﷺ بَعْدَ ثَلَاثٍ إِذْ لَمْ يَكُنْ حَاضِرًا وَقْتَ إِخْبَارِ الْبَاقِينَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ(٣)].

١) سورة محمد ﷺ آية رقم :١٨.

٢) الفتح المبين بشرح الأربعين (١٧٩/١) .

٣) شرح النووي على مسلم (١٥٧/١:١٦٠) بتصرف. وينظر: المفهم (١٣٦/١)

• **ثانيًا: المعنى العام للحديث :**

انتشر مذهب القدرية في البصرة[١] حيث قام معبد الجهني[٢] وكان قوي الحجة يقول: إن الله لم يقدر الأشياء أزلا ولم يسبق علمه بها قبل وقوعها وتابعه جماعة من الذين احترفوا القراءة والبحث في غوامض أحكام الفروع والأصول، ما دفع يحيى بن يعمر وحميد بن عبد الرحمن إلى أن ينطلقا إلى بيت الله الحرام لعلهما يجدان من يفتيهما في هذا الأمر، فوجدا عبد الله بن عمر ﷺ ، فسألاه فأخبرهما أنه برئ مما ينفون القدر وإن كانوا قراء للقرآن عالمين بخفايا الأمور، ثم أخبرهم بما رواه أبوه من سؤالات جبريل عليه السلام للنبي ﷺ [٣].

---

١) مدينة الدنيا، وقاعدة العراق، وموسم التجار، مستطيلة طول فرسخين في عرض فرسخ، اختطها عتبة بن غزوان من المهاجرين الأول في خلافة عمر ﷺ سنة أربع عشرة من الهجرة.[ينظر: آكام المرجان لإسحاق المنجم (٣٩/١)، المسالك والممالك للبكري (٤٣٢/١)]

٢) معبد الجهني البصري، من تابعي البصرة، أول من تكلم في القدر بالبصرة، قال أبو حاتم: كان صدوقا في الحديث وكان رأسا في القدر، قدم المدينة فأفسد بها ناسا، وقال الحسن البَصْرِيّ: إياكم ومعبدا فإنه ضال مضل. وقال ابن معين: ثقة، وَقَال الدَّارَقُطْنِيُّ: حديثه صالح ومذهبه ردئ، فِي سنة ثمانين قتل عَبد المَلِك معبدا الجهني وصلبه بدمشق .[ينظر: (الجرح والتعديل (٢٨٠/٨) ج١٢٨٢، تهذيب الكمال (٢٤٤/٢٨:٢٤٨)ج ٦٠٧٩].

٣) ينظر : فتح الباري (١٢١/١)، عمدة القاري للعيني (٢٨١/١:٢٩٣) ،

المطلب الثالث: سبب ورود الحديث وفضله.

- **أولا : سبب وروده:**

كان الصحابة ﷺ يتهيبون سؤال رسول اللهﷺ ، فأدرك النبي ﷺ ذلك فبادرهم قائلا : سلوني فهابوا كذلك، فجاء جبريل عليه السلام يعلمهم كيف يسألون ولا يتهيبون، ويؤيد ذلك ما ورد من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : سلوني فهابوه أن يسألوه، فجاء رجل فجلس عند ركبتيه فقال يا رسول الله: ما الإسلام؟...الحديث[١].

قَالَ أَبُو زُرْعَةَ: أَرَادَ أَنْ تَعْلَمُوا أَنْ تَسْأَلُوهُ[٢].

- **ثانيًا: فضل الحديث :**

هذا الحديث أصل الإسلام، فقد جمع أَنْوَاعًا مِنَ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ وَالْآدَابِ وَاللَّطَائِفِ ، وهذا من جوامع كلمه ﷺ .

قال القاضي عياض رحمه الله: وهذا الحديث قد اشتمل على شرح جميع وظائف العبادات الظاهرة والباطنة من عقود الإيمان وأعمال الجوارح وإخلاص السرائر والتحفظ من آفات الأعمال حتى إن علوم الشريعة كلها راجعة إليه ومتشعبة منه، إذ لا يشذ شيء من الواجبات والسنن والرغائب والمحظورات والمكروهات عن أقسامه الثلاث [٣].

وقال ابن دقيق العيد رحمه الله : هو كالأم للسنة كما سميت الفاتحة: أم القرآن لما تضمنته من جمعها معاني القرآن[٤].

---

١) رواه مسلم في الصحيح : كتاب الإيمان بَابُ معرفة الْإِيمَانِ، وَالْإِسْلَامِ، والقَدَرِ وَعَلَامَةِ السَّاعَةِ (٣٦/١) ح رقم ١٠من طريق عُمَارَةَ وَهُوَ ابْنُ الْقَعْقَاعِ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ... الحديث .

٢) رواه إسحاق بن راهويه في مسنده (٢١٢/١) ح رقم ١٦٧.

٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٢٠٤/١) .

٤) شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد (٢٨/١) ، وينظر: الفتح المبين بشرح الأربعين النووية لابن حجر الهيتمى (١٨٧/١)

المطلب الرابع: فقه الحديث وما يستفاد منه

اشتمل هذا الحديث الشريف علي عدة مسائل ، منها :

- **المسألة الأولى: سر الربط بين مقدمة الحديث ونص الحديث .**

يكمن السر في إثبات الإيمان بالقضاء والقدر، وأنه لا يتم إيمان العبد إلا به . ردا على من قال: لا قدر والأمر انف)

- **المسألة الثانية: زمن الرواية، وحال النبي ﷺ حين أتاه جبريلﷺ .**

كانت هذه الرواية في آخر عمر النبي ﷺ بعد حجة الوداع، فإنها آخر سفراته ثم بعد قدومه بقليل دون ثلاثة أشهر مات، وكأنه إنما جاء بعد إنزال جميع الأحكام لتقرير أمور الدين التي بلغها متفرقة في مجلس واحد(١).

أما حال النبي ﷺ وقتها ففي ذلك روايتان :

– الأولى تفيد أنه ﷺكان جالسًا بين أصحابهﷺ ، فعن أبي ذر وأبي هريرة، قالا: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَجْلِسُ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ أَصْحَابِهِ، فَيَجِيءُ الْغَرِيبُ فَلَا يَدْرِي أَيُّهُمْ هُوَ حَتَّى يَسْأَلَ، فَطَلَبْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ نَجْعَلَ لَهُ مَجْلِسًا يَعْرِفُهُ الْغَرِيبُ إِذَا أَتَاهُ، فَبَنَيْنَا لَهُ دُكَّانًا مِنْ طِينٍ، كَانَ يَجْلِسُ عَلَيْهِ، وَإِنَّا لَجُلُوسٌ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي مَجْلِسِهِ، إِذْ أَقْبَلَ رَجُلٌ أَحْسَنُ النَّاسِ وَجْهًا، وَأَطْيَبُ النَّاسِ رِيحًا، كَأَنَّ ثِيَابَهُ لَمْ يَمَسَّهَا دَنَسٌ، حَتَّى سَلَّمَ فِي طَرَفِ الْبِسَاطِ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ، فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ: أَدْنُو يَا مُحَمَّدُ، قَالَ: "ادْنُهْ" (٢).

---

١) ينظر : فتح الباري (١١٩/١).

٢) رواه أبو داود: كتاب أبواب السنة باب في القدر (٧٧/٧) ح رقم ١٧، والنسائي: كتاب الإيمان وشرائعه صِفَةُ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ (١٠١/٨) ح رقم ٤٩٩ ، واسحاق بن راهويه في مسنده (٢٠٩/١) ح رقم ١٦٥، والبزار في مسنده (٤١٩/٩) ح رقم ٤٠٢٥، وأبو عوانة في مستخرجه على مسلم (٣٩/١) ح رقم ٩، كلهم من طريق جرير، عن أبي فروة الهَمْدانيِّ، عن أبي زُرعةَ بن عَمرو بن جرير عن أبي ذر وأبي هريرة.. الحديث، وهو حديث صحيح .

– والثانية تفيد أنه ﷺكان خطيبًا ، فوقع في رواية ابن منده من طريق يزيد بن زريع عن كهمس: بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ يَخْطُبُ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ اللِّحْيَةِ لَيْسَ عَلَيْهِ أَثَرُ سَفَرٍ لَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أُرَاهُ أَحَدٌ حَتَّى صَعِدَ الْمِنْبَرَ [1].

فكأن أمره لهم بسؤاله وقع في خطبته وظاهره أن مجيء الرجل كان في حال الخطبة فإما أن يكون وافق انقضاءها أو كان ذكر ذلك القدر جالسا وعبر عنه الراوي بالخطبة[2] .

ولا مانع من الجمع بين الروايتين أن رسول الله ﷺ كان خطيبا ثم نزل وجلس بين أصحابه فجاءه جبريل عليه السلام فسأله ، حيث أسند ركبتيه إلى ركبتي النبي ﷺ ولا يكون ذلك على المنبر، ثم إنه لا يكون حوار بين الخطيب وبين من يخطب فيهم ، والله أعلم .

كما وضح من الروايات أن النبي ﷺ ما عرف أنه جبريل إلا في آخر الحال، وأن جبريل عليه السلام أتاه في صورة رجل حسن الهيئة، لكنه غير معروف لديهم .

- **المسألة الثالثة: كيف بدأ جبريل عليه السلام بالسؤال قبل السلام ؟**

الراجح أن جبريلعليه السلام ألقى السلام، كما ورد في رواية أبي فروة ، وإذا كان لم يرد في بعض الروايات أنه سلم وسأل عن الإسلام والإيمان والإحسان مباشرة ، فهو من تصرف الرواة الناقلين للرواية، وإذا كان لم يسلم فإنما فعل ذلك لأمور منها:

---

١) رواه ابن منده في كتاب الإيمان : باب ذكْر مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ منَ الْإِيمَانِ أَنْ يُؤْمنَ بِحُلْوِ الْقَدَرِ، وَمُرِّهِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ (١٣١/١) ح رقم ٧ قال: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ يُونُسَ، ثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مَهْدِيٍّ، ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمِنْهَالِ الضَّرِيرُ، ثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، ثَنَا كَهْمَسُ.... الحديث. وهو حديث صحيح : رواته ثقات غير محمد بن محمد بن يونس فلم أقف فيه على جرح أو تعديل .

٢) فتح الباري لابن حجر (١١٧/١).

أ – مبالغة في التعمية لأمره ليقوي الظن بأنه من جفاة الأعراب ولهذا تخطى الناس حتى انتهى إلى النبي ﷺ ، كما ناداه باسمه (يا محمد) .

ب – أو ليبين أن ذلك ليس بواجب .

ج – ويحتمل أنه سلّم ولم ينقله الراوي .

قال ابن حجر : وهذا الثالث هو المعتمد ؛ فقد ثبت في رواية أبي فروة [١] .

- **المسألة الرابعة: الحكمة من إرسال جبريل عليه السلام ، وسر تعجب الصحابة رضي الله عنهم من سؤاله.**

إن الحكمة في ذلك تكمن في أمور منها :

أ– تعليمًا للصحابة رضي الله عنهم كيفية السؤال، وما ينبغي أن يكون عليه طالب العلم من آداب .

ب– تربيةً للصحابة بكيفية التعامل مع الرسول ﷺ، ولزوم التواضع بين يديه ﷺ.

ج– يحتمل أن الصحابة رضي الله عنهم هابوا رسول الله ﷺ أن يسألوه فجاء جبريل عليه السلام يسأل والصحابة ينظرون .

د– ويحتمل أن الصحابة رضي الله عنهم ربما أكثروا من السؤال فنهاهم النبي ﷺ فامتثلوا فكافأهم الله تعالى بحسن أدبهم وامتثالهم فأرسل جبريل عليه السلام.

قال الهيتمي: قيل في حكمه إرسال جبريل عليه السلام : ليعلمهم أنهم كانوا أكثروا على النبي ﷺ المسائل، فنهاهم كراهيةً لما قد يقع من سؤال تعنُّتٍ أو تجهيل، فألحوا فزجرهم، فخافوا وأحجموا واستسلموا امتثالًا، فلما صدقوا في ذلك أرسل لهم من يكفيهم المهمات[٢].

---

١) فتح الباري لابن حجر (١١٧/١).والرواية سبق تخريجها وهي صحيحة.

٢) الفتح المبين بشرح الأربعين لابن حجر الهيتمى (١٨٦/١).

وإنما تعجب الصحابة ﷺ من ذلك لأن ما جاء به النبي ﷺ لا يعرف إلا من جهته، وليس هذا السائل ممن عرف بلقاء النبي ﷺ ولا بالسماع منه، ثم هو قد سأل سؤال عارف محقق مصدق فتعجبوا من ذلك.

قال النووي : سَبَبُ تَعَجُّبِهِمْ أَنَّ هَذَا خِلَافُ عَادَةِ السَّائِلِ الْجَاهِلِ إِنَّمَا هَذَا كَلَامُ خَبِيرٍ بِالْمَسْئُولِ عَنْهُ وَلَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ مَنْ يَعْلَمُ هَذَا غَيْرُ النَّبِيِّ ﷺ (١).

كما تعجبوا منه لأنه وضع يديه على فخذي رسول الله ﷺ ، وهذا صنيع منبه للإصغاء إليه، وفيه إشارة لما ينبغي للمسئول من التواضع والصفح عما يبدو من جفاء السائل، والظاهر أنه أراد بذلك المبالغة في تعمية أمره ليقوي الظن بأنه من جفاة الأعراب، ولهذا تخطى الناس حتى انتهى إلى النبي ﷺ كما تقدم ولهذا استغرب الصحابة صنيعه ولأنه ليس من أهل البلد وجاء ماشيا ليس عليه أثر سفر(٢).

• **المسألة الخامسة : العلاقة بين الإسلام والإيمان والإحسان.**

ورد في بعض الروايات أن جبريل عليه السلام سأل رسول الله ﷺ أول ما سأله عن الإيمان ، وليس الإسلام ، وقدم السؤال عن الإيمان لأنه الأصل وثنى بالإسلام لأنه يظهر مصداق الدعوى وثلث بالإحسان لأنه متعلق بهما، وفي روايتنا قدم السؤال عن الإسلام لأنه بالأمر الظاهر ثم الإيمان لأنه بالأمر الباطن ثم الإحسان ، وهذا من باب الترقي والتدرج ، كما ورد في رواية مطر الوراق أنه بدأ بالإسلام وثنى بالإحسان وثلث بالإيمان، مما يدل على أن القصة واحدة اختلف الراوون لها والله أعلم (٣).

وكلها دين، حيث قال النبيﷺ: هذا جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم .

---

١) شرح النووي على مسلم (١/١٥٧).

٢) فتح الباري (١/١١٦) بتصرف.

٣) ينظر: فتح الباري (١/١١٧) .

وربما يحتج بهذا الحديث على التغاير بين الإسلام والإيمان، لكن الراجح من أقوال أهل العلم أن الإسلام والإيمان لفظان إذا اجتمعا افترقا ، وإذا افترقا اجتمعا ، وبينهما عموم وخصوص ، وكلها دين، والتفرقة بينهم لا طائل منها [١].

- **المسألة السادسة : الإيمان بالقدر (حكمه ومراتبه وثمراته).**

أولا: حكم الإيمان به :

ورد في رواية الباب (وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ) ويلاحظ أنه تكرر لفظ وتؤمن مرتين، وكأن الحكمة في ذلك إشارة إلى أنه نوع آخر مما يؤمن به لأن القدر سينكره جماعة أو يحتجون به على ما يفعلون، أو أنها إشارة إلى ما يقع فيه من الاختلاف فحصل الاهتمام بشأنه بإعادة تؤمن ثم قرره بالإبدال بقوله خيره وشره وحلوه ومره [٢].

ولذا فالإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان، ومحل إجماع الأمة من الصحابة ومن بعدهم ، وقد دل حديثنا على ذلك، وكذا حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ﷺ قَالَ : كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلاَئِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ – قَالَ – وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ »[٣] .

وحديث طَاوُوس أَنَّهُ قَالَ: أَدْرَكْتُ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَقُولُونَ: كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ، قَالَ : وَسَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « كُلُّ شيء بِقَدَرٍ حَتَّى الْعَجْزُ وَالْكَيْسُ أَوِ الْكَيْسُ وَالْعَجْزُ »[٤].

---

١) ينظر : معالم السنن (٣١٥/٤) .شرح النووي (١٤٨/١) ، شرح الأربعين النووية (٣٥/١: ٢٨) ، شرح السنة للبغوي (١٠/١). عمدة القاري (٢٩٠/١) . عون المعبود (٢٨٨/١٢) ، المفهم (١٤٠/١).

٢) ينظر : فتح الباري (١١٨/١).

٣) رواه مسلم : كتاب القدر باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام (٢٠٤٤/٤) ح ٢٦٥٣.

٤) رواه مسلم : كتاب القدر باب كل شيء بقدر (٢٠٤٥/٤) ح ٢٦٥٥من حديث ابن عمر ﷺ

مراتب الإيمان بالقدر:

للقدر أربع مراتب دلت عليها النصوص وقررها أهل العلم وهي :

- المرتبة الأولى: علم الله بكل شيء من الموجودات والمعدومات والممكنات والمستحيلات: قال ﷻ : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾[1]، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : عَنْ أَطْفَالِ الْمُشْرِكِينَ ، فَقَالَ : اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ »[2] .
- المرتبة الثانية : كتابة الله تعالى لكل شيء مما هو كائن إلى قيام الساعة: قال ﷻ : ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾[3] .
- المرتبة الثالثة: المشيئة : قال ﷻ :﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[4]،

وعن أبي هريرة ﷺ : أن رسول الله ﷺ قال : (لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمُ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ لِيَعْزِمِ الْمَسْأَلَةَ فَإِنَّهُ لَا مُكْرِهَ لَهُ)[5].

---

١) سورة الطلاق آية رقم :١٢.

٢) رواه مسلم : كتاب القدر باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين (٢٠٤٩/٤) ح ٢٦٥٩من حديث أبي هريرة ﷺ

٣) سورة يس آية رقم: ١٢.

٤) سورة التكوير آية رقم : ٢٩.

٥) رواه البخاري :كتاب الدعوات باب ليعزم المسألة فإنه لا مكره له (٢٣٣٤/٥) ح ٥٩٨٠،ومسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب العزم بالدعاء ولا يقل إن شئت (٢٠٦٣/٤) ح ٢٦٧٩.

– المرتبة الرابعة : خلق الله تعالى للأشياء وإيجادها وقدرته الكاملة على ذلك: قال ﷻ : ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[١] ، وفيه دلالة عَلَى أَنَّ فِعْلَ الْعَبْدِ مَخْلُوقٌ لِلَّهِ تَعَالَى [٢].

وعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّﷺ وَعَقَلْتُ نَاقَتِي بِالْبَابِ ، وفيه أن النبي ﷺ قال : كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ ،وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ ، وَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ، فَنَادَى مُنَادٍ ذَهَبَتْ نَاقَتُكَ يَا ابْنَ الْحُصَيْنِ فَانْطَلَقْتُ فَإِذَا هِيَ يَقْطَعُ دُونَهَا السَّرَابُ ، فَوَ اللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ تَرَكْتُهَا[٣].

وعليه : فيجب الإيمان بهذه المراتب الأربع لتحقيق الإيمان بالقدر ومن أنكر شيئًا منها لم يحقق الإيمان بالقدر و جحد ركنا من أركان الإيمان كما عليه الفرقة القدرية الضالة التي تنكر القدر[٤]، ومذاهبهم باطلة بدليل قوله تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [٥]، ومذهب أهل السنة والجماعة أن جميع الأفعال واقعة بقضاء الله وقدره، والعبد غير مجبور على أفعاله، بل هو قادر عليها وقاصد لها وفاعل لها .

---

١) سورة الصافات آية رقم: ٩٦.

٢) ينظر: تفسير البغوي (٣٥/٤) ، ومفاتيح الغيب (٣٤٣/٢٦) .

٣) رواه البخاري : كتاب بدء الخلق باب ما جاء في قول الله تعالى { وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه } (١٠٦/٤) ح ٣١٩٢ من حديث عمران بن الحصين ﷺ.

٤) مثل : القدرية الغلاة الذين ينكرون علم الله بالأشياء قبل كونها، وينكرون كتابته لها في اللوح المحفوظ، ويقولون : إن الله أمر ونهى، وهو لا يعلم من يطيعه ممن يعصيه؛ فالأمر أنف (أي : مستأنف) ، لم يسبق في علم الله وتقديره . وهذه الفرقة قد انقرضت أو كادت .ينظر: ["الملل والنحل" (١/ ٣٥)] ، والمعتزلة التي تقر بالعلم، وتنفي دخول أفعال العباد في القدر، وتزعم أنها مخلوقة لهم استقلالا، لم يخلقها الله ولم يردها. [الملل والنحل: ١/ ٣٩ – ٦٦]، والجبرية التي غلت في إثبات القدر حتى سلبوا العبد قدرته واختياره، وقالوا : إن العبد مجبر على فعله . ينظر: [الملل والنحل (٤/١)، وخلق أفعال العباد للبخاري (٢٦/١)]

٥) سورة التكوير آية رقم ٢٩،٢٨ .

قال ابن حجر: والمراد أن الله تعالى علم مقادير الأشياء وأزمانها قبل إيجادها ثم أوجد ما سبق في علمه أنه يوجد فكل محدث صادر عن علمه وقدرته وإرادته هذا هو المعلوم من الدين بالبراهين القطعية وعليه كان السلف من الصحابة وخيار التابعين إلى أن حدثت بدعة القدر في أواخر زمن الصحابة[1].

آثار الإيمان بالقدر:

للإيمان بالقضاء والقدر أثره البالغ وثمراته النافعة ، ومن ذلك :

١- يثمر الاعتماد على الله تعالى عند فعل الأسباب لأنه مقدر الأسباب والمسببات، فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:« الْمُؤْمِنُ الْقَوِىُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِى كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلاَ تَعْجِزْ ،وَإِنْ أَصَابَكَ شَىْءٌ فَلاَ تَقُلْ :لَوْ أَنِّى فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ ،فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ »[2].

٢ – راحة للنفس وطمأنينة للقلب ، فلا تأخذه الهموم والأحزان.

٣- طرد الإعجاب بالنفس عند حصول المراد ؛ لأن حصول ذلك نعمة من الله بما قدره من أسباب ذلك الخير والنجاح فيشكر الله ويدع الإعجاب [3].

٤- الثبات عند مواجهة الفتن والأزمات .

٥- يحول المحن إلى منح والمصائب إلى أجر : قال تعالى : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [4] ، قَالَ

---

١) فتح الباري (١١٨/١).

٢) رواه مسلم: كتاب القدر باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله (٢٠٥٢/٤) ح ٢٦٦٤ .

٣) ينظر في ذلك: كتاب أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة(٣٣١/١:٤٤٨).

٤) سورة التغابن آية رقم ١١.

علقمة: هُوَ الرَّجُلُ تُصِيبُهُ الْمُصِيبَةُ فَيَعْلَمُ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللهِ فَيَرْضَى وَيُسَلِّمُ (١).

وَعَلَى الْعَبْدِ أَنْ يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، وَلَيْسَ لَهُ أَنْ يَحْتَجَّ بِهِ عَلَى اللَّهِ؛ فَالْإِيمَانُ بِهِ هُدًى؛ وَالِاحْتِجَاجُ بِهِ عَلَى اللَّهِ ضَلَالٌ وَغَيٌّ، بَلْ الْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ يُوجِبُ أَنْ يَكُونَ الْعَبْدُ صَبَّارًا شَكُورًا؛ صَبُورًا عَلَى الْبَلَاءِ، شَكُورًا عَلَى الرَّخَاءِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (٢).

- **المسألة السابعة: علامات الساعة في الحديث .**

لقد سأل جبريل عليه السلام عن وقت الساعة مع علمه أن أحدًا لا يطلع عليه؛ لينبِّه الناس عن قطع أطماعهم عن التلفت إلى الاطلاع عليها، وسأل عن أماراتها وهي كثيرة ، لكن ذكر النبي ﷺ علامتين من علاماتها، وهاتان العلامتان هما :

١- كثرة فتوحات المسلمين ، وينتج عنها كثرة تسرى الملوك ، حتى تلد الأمة ربتها .

٢- فتوح الدنيا على المسلمين، فينتج عنها تطاول الحفاة الفقراء في البنيان.

واقتصر في الجواب على أمارتين مع شمول السؤال لأكثر لأمور منها :

١- تحذيرًا للحاضرين وغيرهم عنهما؛ لاقتضاء الحال ذلك؛ إذ لعل منهم من تعاطى شيئًا منهما، فزجره عنه (٣).

---

١) رواه الطبري في تفسيره (٤٢١/٢٣) ، والبيهقي في السنن :كتاب الجنائز باب الرغبة في أن يتعزى بما أمر الله تعالى به من الصبر والاسترجاع (٦٦/٤) ح ٦٩٢٥ من طريق وكيع عن الأعمش عن أبي ظبيان قال : كنا نعرض المصاحف عند علقمة بن قيس ...

٢) مجموع الفتاوى (٢٣٧/٨) بتصرف. والآية من سورة الحديد رقم : ٢٢.

٣) ينظر: الفتح المبين بشرح الأربعين لابن حجر الهيتمي (١٨٤/١).

٢- لقرب وقوعها من زمانه ﷺ، فهي من النوع المعتاد كرفع العلم وكثرة الزنا وشرب الخمر.

٣- أما الأشراط الأخرى فهي من النوع غير المعتاد، كخروج الدجال، ونزول عيسى ابن مريم، وخروج يأجوج ومأجوج، ودابة الأرض، وطلوع الشمس من مغربها، والدخان، والنار التي تسوق الناس، وتحشرهم[١] .

والمقصود بالأمارة الأولى: إخبار عن كثرة السراري وأولادهن فإن ولدها من سيدها بمنزلة سيدها؛ لأن مال الإنسان صائر إلى ولده وقد يتصرف فيه في الحال تصرف المالكين إما بتصريح أبيه له بالإذن وإما بما يعلمه بقرينة الحال أو عرف الاستعمال،

وقيل : معناه أن الإماء يلدن الملوك فتكون أمه من جملة رعيته وهو سيدها وسيد غيرها من رعيته، وقيل : معناه أن تفسد أحوال الناس فيكثر بيع أمهات الأولاد في آخر الزمان فيكثر ترددها في أيدي المشترين حتى يشتريها ابنها ولا يدري، ويحتمل على هذا القول أن لا يختص هذا بأمهات الأولاد فإنه متصور في غيرهن فإن الأمة تلد ولدا حرا من غير سيدها بشبهة أو ولدا رقيقا بنكاح أو زنا ثم تباع الأمة في الصورتين بيعًا صحيحًا وتدور في الأيدي حتى يشتريها ولدها، وهذا أكثر وأعم من تقديره في أمهات الأولاد ، ومعناه أنه يكثر بيع السراري حتى يتزوج الإنسان أمه وهو لا يدري وهذا أيضا معنى صحيح إلا أن الأول أظهر لأنه إذا أمكن حمل الروايتين في القضية الواحدة على معنى واحد كان أولى[٢].

أما الأمارة الثانية وهي : (تطاول الحفاة العراة في البنيان) : فكَمَا جَاءَ فِي حَدِيثٍ آخَرَ فِي أَشْرَاطِ السَّاعَةِ :«وَيَتَكَلَّمُ فِيهِمُ الرُّوَيْبِضَةُ، وَهُوَ

١) ينظر: المفهم (١/ ١٥٥) بتصرف.

٢) شرح النووي على مسلم (١/١٥٧،١٥٨).

الرَّجُلُ التَّافِهُ يَنْطِقُ فِي أُمُورِ الْعَامَّةِ» ، وَقِيلَ: الرُّوَيْبِضَةُ: تَصْغِيرُ الرَّابِضَةِ، وَهُوَ رَاعِي الرَّبِيضِ، وَالرَّبِيضُ: الْغَنَمُ، وَالْهَاءُ لِلْمُبَالَغَةِ(١).

- **المسألة الثامنة: سر تخصيص رعاء الشاء دون رعاء الإبل بالذكر .**

خص رعاء الشاء بالذكر لأنهم أضعف أهل البادية، بخلاف أهل الإبل فإنهم في الغالب ليسوا عالة ولا فقراء.

قال ابن حجر الهيتمي: وخُصَّ مطلق الرعاء؛ لأنهم أضعف الناس، ورعاء الشاء؛ لأنهم أضعف الرعاء، ومن ثَمَّ قيل: رواية: "رعاء الشاء" أنسب بالسياق من رواية: "رعاء الإبل" فإنهم أصحاب فخرٍ وخيلاء، وليسوا عالةً ولا فقراء غالبًا، وفخرهم إنما هو بالنسبة لرعاء الشَّاء لا لغير الرعاء، فالقصد حاصلٌ بذكر مطلق الرعاء، ولكنه برعاء الشاء أبلغ(٢).

- **المسألة التاسعة: هل كل ما أخبر ﷺ بكونه من علامات الساعة يكون محرماً ؟**

ليس شرطًا أن تكون علامات الساعة أمورًا محرمة، فنزول عيسى بن مريم ﷺ آخر الزمان ليس محرمًا بل أمر تتمناه النفوس المؤمنة، وبيع أمهات الأولاد أمر جائز، وهو من علامات الساعة.

قال النووي : ... فَإِنَّهُ لَيْسَ كُلُّ مَا أَخْبَرَ ﷺ بِكَوْنِهِ مِنْ عَلَامَاتِ السَّاعَةِ يَكُونُ مُحَرَّمًا أَوْ مَذْمُومًا؛ فَإِنَّ تَطَاوُلَ الرِّعَاءِ فِي الْبُنْيَانِ وَفُشُوَّ الْمَالِ وَكَوْنَ خَمْسِينَ امْرَأَةً لَهُنَّ قَيِّمٌ وَاحِدٌ لَيْسَ بِحَرَامٍ بِلَا شَكٍّ، وَإِنَّمَا هَذِهِ عَلَامَاتٌ وَالْعَلَامَةُ لَا يُشْتَرَطُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ بَلْ تَكُونُ بِالْخَيْرِ وَالشَّرِّ وَالْمُبَاحِ وَالْمُحَرَّمِ وَالْوَاجِبِ وَغَيْرِهِ (٣).

---

١) شرح السنة (١٢/١) .

٢) شرح النووي على مسلم (١٥٩/١).

٣) الفتح المبين بشرح الأربعين لابن حجر الهيتمي (١٨٢/١).

- **المسألة العاشرة: الحكمة في إخفاء علم الساعة عن الخلق.**

لعل الحكمة في ذلك أمور منها :

١- ليكون العباد على خوف وحذر، فيزدادوا من الطاعات قربة لله تعالى.

٢- رحمةً بالخلق، فلو علموا موعدها لتنغصت حياتهم خوفا من الموت .

٣- تربيةً للصحابة ﷺ وغيرهم لئلا يكثروا من السؤال عنها.

٤- تعليمًا لكيفية السؤال وهو: كيف أستعد ليوم القيامة؟ أو ماذا أعددت لهذا اليوم ؟

فعَنْ أَنَسٍ ﷺ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ السَّاعَةِ، فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: «وَمَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا»؟ قَالَ: لاَ شَيْءَ، إِلَّا أَنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﷺ، فَقَالَ: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ». قَالَ أَنَسٌ: فَمَا فَرِحْنَا بِشَيْءٍ، فَرَحَنَا بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ» قَالَ أَنَسٌ: «فَأَنَا أُحِبُّ النَّبِيَّ ﷺ وَأَبَا بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ بِحُبِّي إِيَّاهُمْ، وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِمِثْلِ أَعْمَالِهِمْ»[١].

٥- [لأنها مقام إنصاف لكل مظلوم، وارتجاع لكل مغصوب، وإيتاء كل ذي فضل فضله، وإيصال كل ذي حق حقه، ولقاء كل مشوق لمن يشتاقه، فهي من حيث اقتضاء وعد الله وعدله كالمخوف هجومها صباح مساء ، ومن حيث حكمة الله في خلقه فهي الواحدة القاضية ليس بعدها غيرها، .... ولذلك قال الله تعالى: ﴿ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ ﴾ [٢]، وأي يوم يوم القيامة؟][٣].

---

١) رواه البخاري : كتاب أصحاب النبي ﷺ بابُ مَنَاقِبِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ أَبِي حَفْصٍ القُرَشِيِّ العَدَوِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(١٢/٥) ح رقم ٣٦٨٨، ومسلم: كتاب البر والصلة والآداب بَابُ الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ (٢٠٣٢/٤) ح رقم ٢٦٣٩.

٢) سورة الشوري آية رقم : ١٨.

٣) الإفصاح عن معاني الصحاح لابن هبيرة (٢٠٠/١،٢٠١) بتصرف واختصار.

- **المسألة الحادية عشرة: من التأويلات الفاسدة للحديث .**

استدل بعض غلاة الصوفية على أن رؤية الله تعالى ممكنة في الدنيا، بقوله ﷺ: (إن لم تكن تراه فإنه يراك) مفسرا له بقوله: فإن لم تصر شيئا وفنيت عن نفسك حتى كأنك ليس بموجود فإنك حينئذ تراه.

وهذا مردود لما يلي :

أ- لو كان المراد ما زعم لكان قوله تراه محذوف الألف لأنه يصير مجزوما لكونه على زعمه جواب الشرط ولم يرد في شيء من طرق هذا الحديث بحذف الألف، ومن ادعى أن إثباتها في الفعل المجزوم على خلاف القياس فلا يصار إليه إذ لا ضرورة هنا ،

ب- ولو كان ما ادعاه صحيحا لكان قوله : (فإنه يراك) ضائعا لأنه لا ارتباط له بما قبله، ومما يفسد تأويله رواية كهمس فإن لفظها : (فإنك إن لا تراه فإنه يراك) وكذلك في رواية سليمان التيمي، فسلط النفي على الرؤية لا على الكون الذي حمل على ارتكاب التأويل المذكور، وفي رواية أبي فروة: (فإن لم تره فإنه يراك) ونحوه في حديث أنس وابن عباس وكل هذا يبطل التأويل المتقدم والله أعلم[١].

ج- في الحديث دلالة على أن رؤية الله في الدنيا بالأبصار غير واقعة، وأما رؤية النبي ﷺ فذاك لدليل آخر، وقد صرح مسلم في روايته من حديث أبي أمامة بقوله ﷺ:(واعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا)[٢].

---

١) فتح الباري (١٢٠/١) . وينظر: النكت على صحيح البخاري (١٧/٢) .

٢) هذا اللفظ من حديث أبي أمامة ليس في "صحيح مُسْلِم"، وأخرجه الحاكم في "المستدرك" (كتاب الفتن والملاحم، باب: إن الله تعالَى لَم يبعث نبيًّا إلا حذر أمته الدجال) (٤/ ٥٣٦، ٥٣٧)، ولفظه: "وإنكم لن تروا ربكم حتَّى تموتوا"، وَقَالَ: هذا حديثٌ صحيحٌ عَلى شرط مُسْلِم، ولَم يخرجاه بهذه السياقة. أما الحديث الَّذِي أخرجه مُسْلِم في "صحيحه" (كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: ذكر ابن صياد) برقم (٢٩٣١)، فهو من حديث عبد الله بن عمر، ولفظه: "لن يرى أحد منكم ربه -عَزَّ وَجَلَّ- حَتَّى يموت".

- **المسألة الثانية عشرة: ما يستفاد من الحديث:**

اشتمل الحديث علي فوائد جمة منها :

١- مجيئ جبريل عليه السلام في أواخر عمر النبي ﷺ كأنه إنما جاء بعد إنجاز جَميع الأحكام، لتقرير أمور الدين الَّتِي بَلَّغها متفرقة في مجلس واحد لتضبط.

٥- [ينبغي للعالم أن يبسط السائل ويدنيه ليتمكن من السؤال غير هائب ولا متقبض.

٦- من توفيق السائل إذا سأل في ملأ أن يسأل عن مسألة تعمه وتعم الحاضرين.

٧- من طرق التعليم أن يسأل العالم من مسألة وهو يعرفها ليجاب عنها بمشهد غيره فيتعلم تلك المسألة من لم يعلمها.

٨- أن الإسلام والإيمان إذا حصل لعبد اقتضيا درجة الإحسان.

٩- جواز سؤال الإنسان العالم عما يعلم أنه لا يعلمه ليرد عليه جوابًا يسكت الناس عن التعرض للسؤال عن ذلك[١]].

١٠- [فيه دليل على تحسين الثياب والهيئة والنظافة عند الدخول على العلماء والفضلاء والملوك فإن جبريل عليه السلام أتى معلما للناس بحاله ومقاله.

١١- ينبغي للعالم والمفتي وغيرهما إذا سئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم ، وأن ذلك لا ينقصه بل يستدل به على ورعه وتقواه ووفور علمه ، والله أعلم[٢]].

١٢- [في الحديث كراهة ما لا تدعو الحاجة إليه من تطويل البناء وتشييده وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: "يؤجر ابن آدم في كل شيء إلا ما وضعه في هذا التراب". ومات رسول الله ﷺ ولم يضع حجراً على حجر ولا لبنة على لبنة: أي لم يشيد بناءه ولا طوله ولا تأنق فيه.

---

١) الإفصاح عن معاني الصحاح لابن هبيرة (١/١٩٩:٢٠٢) بتصرف .

٢) شرح النووي على مسلم (١/١٥٧:١٦٠)

١٣- يَنْبَغِي لِلسَّائِلِ أَنْ يَرْفُقَ فِي سُؤَالِهِ .

١٤- ندب أهل الحقائق إلى مجالسة الصالحين ليكون ذلك مانعا من تلبسه بشيء من النقائص احتراما لهم واستحياء منهم فكيف بمن لا يزال الله تعالى مطلعا عليه في سره وعلانيته .

١٥- هذا من أمارات نبوة محمد ﷺ حيث أخبر بفتح الدنيا على أمته؛ وصدق ﷺ فيما أخبرنا به من ظهور العرب وملكهم[١].

١٦- فِيهِ تَنْبِيهٌ عَلَى أَدَبِ الْجَمَاعَةِ فِي مَشْيِهِمْ مَعَ فَاضِلِهِمْ وَهُوَ أَنَّهُمْ يَكْتَنِفُونَهُ وَيَحُفُّونَ بِهِ.

١٧- فِيهِ أَنَّ الْإِيمَانَ وَالْإِسْلَامَ وَالْإِحْسَانَ تُسَمَّى كُلُّهَا دِينًا.

١٨- العقائد هي الأس، ولا يرفع بناء ليس أسه على تقوى من الله ورضوان.

١٩- كل قائل (إن الأمر أنف وأن لا قدر)، فإنه ضال.

٢٠- من طرق التعليم أن يسأل العالم من مسألة وهو يعرفها ليجاب عنها بمشهد غيره فيتعلم تلك المسألة من لم يعلمها.

٢١_الإيمان درجة ومقام في الإسلام، وأنه لا يوصف بالألف واللام اللتين للتعريف إلا أن يكون إيماناً بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر كله خيره وشره.

٢٢- أشراط الساعة إذا علمها الإنسان كانت مما يزيد حذره.

٢٣- فيه أن يكثر في الملوك التسري لكثرة الفتوح.

٢٤- فيه أن الدنيا تفتح عليهم، وهذا من أمارات نبوة محمد ﷺ حيث أخبر بفتح الدنيا على أمته؛ وصدق ﷺ فيما أخبرنا به من ظهور العرب وملكهم.

والله أعلى وأعلم وأعز وأحكم

وصلى الله وسلم على حبيبنا ونبينا محمد وآله وصحبه

---

١) الإفصاح عن معاني الصحاح لابن هبيرة (١/١٩٩:٢٠٢) بتصرف .

المبحث الثاني: حديث أمّ السنة {دراسة تربوية}

لا شك أن السنة النبوية هي مصدر التربية عند المسلمين، وإنها لحافلة بالمواقف التربوية التي حيرت العقول وخضعت لها الأفهام، ومن تلك المواقف ما يدل على طلب العلم وكيفيته وآدابه التي تتضمن حوارا بناء قائما على العدل والإنصاف والتفكير والتدبر.

وحديثنا الشريف حافل بالقيم التربوية الهامة ومنها:-

أولا: طريقة جلسة طالب العلم:-

يوجهنا الحديث الشريف إلى طريقة الجلوس الصحيحة لطالب العلم، حيث إن هذه الطريقة تجعل الفرد نشطا ومتيقظا ومنتبها لما يستمع، وطريقة جلوس جبريل عليه السلام من المقاصد التربوية التي يجب أن يتعلم منها طلاب العلم (الأنصاري، ١٩٩٥، ص ٤٨).

ثانيا: التأدب في طلب العلم:

يوجهنا الحديث الشريف إلى كيفية احترام المعلم وتوقيره وكيف يكون توجيه السؤال وانتظار الإجابة، وهذا يبدو جليا في سؤال جبريل عليه السلام لسيدنا مُحَمَّدً ﷺ ورد سيدنا مُحَمَّدً ﷺ على جبريل عليه السلام وهذا دليل على القيم التي يجب أن يتمتع بها المتعلمين والمعلمين وتأكيدهم على المثل والقيم الرفيعة في عملية التعلم (الكيلاني، ١٩٨٨، ص ٨٥).

ثالثا: البحث عن المعلومات من مصادرها الموثوقة:

يوجهنا الحديث الشريف إلى أخذ المعلومات من مصادرها الموثوقة التي لا تقبل التأويل والشك والبعد عن المصادر التي تثير الشك والريبة. ويعلم سيدنا جبريل عليه السلام المسلمين بأن يبحثوا ويسألوا عن كل ما لا يعرفوه وأن يعتمدوا على أنفسهم في عملية البحث والتحقق من صحة المعلومات التي يحصلون عليها (الكيلاني، ٢٠٠٥، ص٤٥).

رابعا: آداب الحوار:

يوضح الحديث الشريف آداب الحديث والحوار مع الآخرين، وآداب الحوار بين المتعلم والمعلم، والتي تتمثل في التأدب مع المعلم وتحديد السؤال بدقة وحسن صياغته واستخدام الألفاظ المناسبة، وانتظار الإجابة. وأيضا يبين الحديث الشريف الآداب التي يجب أن يتحلى بها الجمهور الحاضر أثناء الحوار والتي تتمثل في حسن الإنصات وعدم التدخل في الحوار دون استئذان وعدم التعجل في إصدار أحكام متعجلة وانتظار انتهاء الحديث، وبيان سبب ذلك من المعلم. ويبين الحديث أهمية التعلم والبحث عن المعلومات، والاستمرار في عملية التعليم والتعلم من الصغر إلى الكبر (مدكور، ٢٠٠١، ص١١٢).

وفي الحديث الشريف تدريب على التجديد وعدم التقليد الأعمى والسعي إلى أعمال العقل (الكيلاني، ١٩٩٥، ص١٣٤).

خامسا: أهمية طلب العلم:

يبين الحديث الشريف أهمية طلب العلم والسعي في طلبه، والحديث الشريف أوضح أهمية طلب العلم وأهمية العلماء مما جعل الكتاب في كل المجالات يوكدون على أعلاء قيمة طلب العلم وأهمية العلماء، ويرفعون من قيمة العلماء ومنزلتهم الرفيعة التي تضاهي الملوك، والعالم جمع من المناقب والفضائل أولاها وأشرفها، فإن كل المعاني الدنيوية، وإن تناهت فليست باعتبار المعالي العلمية والشرف الحاصل بها في ورد ولا صدر. فإنه يحصل للعالم أولاً وبالذات الفوز بالنعيم الأخروي الدائم السرمدي الذي لا تعدل منه الدنيا بأسرها قيد شوط، بل مقدار سوط، ويحصل له ثانيا وبالعرض من شرف الدنيا ما يصغر عنده كل شرف، ويتقاصر دونه كل مجد، ويتضاءل لديه كل فخر. وإن من فهم مقدار ما في العلوم من العلو كان عند نفسه أعز قدرا وأعلى محلا وأجل رتبة من الملوك، وإن كان متضايق المعيشة، يركب نعليه ويلبس طمريه (الشوكاني، ٢٠٠٨، ص ١٤٨).

الخاتمة

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، ونشهد ألا إله إلا الله وأن سيدنا محمدا عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدي بهديه واقتفى أثره إلى يوم الدين ، وبعد،،،

فلقد توصلنا بتوفيق الله تعالى في هذا البحث إلى نتائج في غاية الأهمية ، منها :

١- جلالة الإمام البخاري وتقديم صحيحه على صحيح مسلم، فلم يورد هذا الحديث في صحيحه من هذا الطريق لاختلاف على بعض رواته .

٢- يُستفاد من اختلاف الروايات: أن التحديث، والإخبار، والإنباء، بمعنى واحد، وإنما غاير بينها أهل الحديث اصطلاحا.

٣- اختلاف الروايات في هذا الحديث يحمل على أن بعض الرواة حفظ ما لم يحفظ الآخر، وكل أدى ما حفظ، كما يحمل على الرواية بالمعنى وهي جائزة بمعرفة الراوي ما يحيل المعنى ، أو تحمل على زيادة الثقة وهي مقبولة على أصح الأقوال عند علماء الحديث.

إن الإيمان بالقدر واجب على كل مسلم يشهد ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ﷺ.

٤- وجود المشككين في أركان الإيمان وفي السنة في كل زمان ومكان .

٥- أن الزمان لا يخلوا من إمام عالم ينصح ويبين للناس أمر دينهم .

٦- معرفة السؤال نصف العلم .

٧- على الإنسان ألا يستحي من سؤال أهل العلم، وعليه الأدب والتوقير لهم ، ويستحب جلوس العالم بمكان يختص به ويكون مرتفعا إذا احتاج لذلك لضرورة تعليم ونحوه.

٧- حرص المسلم على إيصال علمه للناس بطريقة طيبة ووسيلة مريحة .

٨- أهمية التدرج في سؤال أهل العلم .

٩_صبر الصحابة ﷺ على العلم والتعلم، فلم يعترضوا على أسلوب جبريل عليه السلام حيث يسأل ويصدق .

١٠- أن الإسلام والإيمان والإحسان درجات متفاوتة ، كلها من الدين .

١١- أمر الساعة من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله تعالى، فلم يطلع عليه رسولا أو ملكا.

١٢- ليست كل علامات الساعة محرمة .

١٣- في العلم تقدم الأمم والشعوب؛ لذا حرص عليه الإسلام .

١٤- أهمية سؤال أهل العلم أخذا للمعلومة من مصادرها الموثوقة .

١٥- شرف هذه الأمة حيث إن رسولها محمد ﷺ وجبريل عليه السلام نائبا عنها في سؤاله للرسول ﷺ.

١٦- التواضع وعدم التكبر في طلب العلم ، فجبريل عليه السلام الذي كان ينزل بالإجابة على رسول الله ﷺ هو الذي يسأل ويجيبه رسول الله ﷺ.

توصيات البحث :

من التوصيات الهامة من خلال البحث ما يلي:

١- أهمية الرد على أصحاب البدع من القدرية والجهمية وغيرهم بالعلم .

٢- ضرورة كفالة وتمكين أهل العلم من إيصال العلم إلى الناس جميعا .

٣- تربية الطلاب على الأدب والتواضع في طلب العلم ، وتدريس هذه الآداب للطلاب في كل مراحل تعليمهم ؛ صيانة للعلم واحتراما للمعلم.

٤- عدم كتمان العلم .

٥- دعوة الناس إلى الدين بالتدرج والحكمة.

مراجع البحث

- القرآن الكريم كلام الله رب العالمين .
١- أسد الغابة لعز الدين ابن الأثير دار الفكر بيروت،١٤٠٩هـ.
٢- الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد لصالح فوزان ، دار ابن الجوزي ط٤، ١٤٢٠هـ
٣- الإسلام أصوله ومبادؤه لمحمد بن عبد الله بن صالح السحيم / السعودية/ ط١ ١٤٢١هـ
٤- الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ، دار الكتب العلمية .
٥- آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان لإسحاق بن الحسين المنجم ،عالم الكتب، بيروت، ط١/ ١٤٠٨ هـ.
٦- إِكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم للقاضي عياض ، دار الوفاء ، مصر ط١، ١٤١٩ هـ .
٧- أعلام الحديث للخطابي ، جامعة أم القرى ط١ ١٤٠٩ هـ
٨- أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة / نخبة من العلماء/ المملكة العربية السعودية/ ط١/ ١٤٢١هـ
٩- الاستيعاب في معرفة الأصحاب لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر (ت ٤٦٣هـ) ١ / دار الجيل، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م عدد الأجزاء: ٤
١٠- الإفصاح عن معاني الصحاح لابن هُبَيْرَة الشيبانيّ ، دار الوطن
١١- الإيمان لابن مَنْدَه ، مؤسسة الرسالة - بيروت
١٢- البحر الزخار للبزار ، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة ط١.
١٣- تاريخ بغداد للخطيب ، دار الغرب الإسلامي بيروت
١٤- تاريخ ابن معين (رواية الدوري) ،مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي - مكة المكرمة.
١٥- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي للسيوطي ، دار طيبة .

١٦- تقريب التهذيب لابن حجر ،دار الرشيد سوريا /ط١/ ١٤٠٦هـ .
١٧- تهذيب التهذيب لابن حجر ،دار الفكر،ط١، ١٤٠٤هـ .
١٨- تهذيب الكمال للمزي ، مؤسسة الرسالة بيروت .
١٩_- جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (ت ٣١٠هـ) ، مؤسسة الرسالة
٢٠- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه للبخاري ، دار طوق النجاة ط١/ ١٤٢٢هـ .
٢١- الجامع الصحيح لمسلم بن الحجاج، ط١، ١٣٧٤هـ، المكتبة الإسلامية.
٢٢- الجرح والتعديل لابن أبى حاتم الرازي، دار الكتاب العربي ط١ / ١٠٤٨هـ .
٢٣- سنن أبي داود ،المكتبة العصرية، صيدا ، بيروت .
٢٤- سنن ابن ماجه ، دار الرسالة العالمية ط١، ١٤٣٠ هـ .
٢٥- سنن الترمذي ، شركة مصطفى البابي الحلبي مصر ط٢/ ١٣٩٥ هـ .
٢٦- سير أعلام النبلاء للذهبي ، مؤسسة الرسالة ط٣/ ، ١٤٠٥ هـ .
٢٧- السنن الصغرى للنسائي ، مكتب المطبوعات الإسلامية حلب ط٢ /١٤٠٦ .
٢٨- السنن الكبرى للبيهقي ، مكتبة دار الباز – مكة المكرمة ، ١٤١٤هـ
٢٩- شرح السنة للبغوي ، المكتب الإسلامي – دمشق، بيروت ط٢/ ١٤٠٣هـ .
٣٠- شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد مؤسسة الريان ط٦/ ١٤٢٤ هـ .
٣١- الطبقات الكبرى لابن سعد ، دار الكتب العلمية ط١ ١٤١٠هـ –
٣٢- عمدة القاري للعيني ، دار إحياء التراث،

٣٣- عون المعبود شرح سنن أبي داود للعظيم آبادي ،دار الكتب العلمية- بيروت .
٣٤- فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر ، دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩ .
٣٥- فتح المغيث شرح ألفية الحديث للسخاوي، ط٢، ١٤١٢هـ، دار الإمام الطبري.
٣٦- فتح المنعم شرح صحيح مسلم لموسى شاهين لاشين ، دار الشروق ط١ ١٤٢٣ هـ .
٣٧- الفتح المبين بشرح الأربعين لابن حجر الهيتمي الأنصاري، (ت ٩٧٤ هـ).
٣٨- الفرق بين الفرق لعبد القاهر الاسفراييني ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ط٢/ ١٩٧٧ .
٣٩- الملل والنحل للشهرستاني مؤسسة الحلبي .
٤٠- خلق أفعال العباد للبخاري، دار المعارف السعودية – الرياض
٤١- الكاشف فى معرفة من له رواية فى الكتب الستة للذهبي، دار القبلة ،جدة – ط١/ ١٤١٣هـ
٤٢- الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار لابن أبي شيبة ، مكتبة الرشد الرياض ط١/، ١٤٠٩
٤٣- مجموع الفتاوى لابن تيمية ،مجمع الملك فهد ، المدينة النبوية، ١٤١٦هـ.
٤٤- معالم السنن للخطابي ، المطبعة العلمية – حلب /ط١/ ١٣٥١ هـ
٤٥- مسند إسحاق بن راهويه ، مكتبة الإيمان – المدينة المنورة .
٤٦- معالم التنزيل في تفسير القرآن للبغوي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت

٤٧- مفاتيح الغيب للرازي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ط٢ ١٤٢٠ هـ

٤٨- المسالك والممالك للاصطخري، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة.

٤٩- المسند للإمام أحمد بن حنبل ، الناشر: مؤسسة قرطبة – القاهرة .

٥٠- المستدرك على الصحيحين للحاكم ، دار الكتب العلمية ط/١ ١٤١١.

٥٢- المصنف لعبد الرازق الصنعاني، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ .

٥٣- المُعْلم بفوائد مسلم للمازري ،الدار التونسية للنشر /ط٢، ١٩٨٨ م.

٥٤- المعجم الكبير للطبراني ، مكتبة العلوم والحكم – الموصل – ط٢ / ١٤٠٤هـ .

٥٥- المعين على تفهم الأربعين لابن الملقن ، مكتبة أهل الأثر للنشر، الكويت ط١١٤٣٣ هـ .

٥٦- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للقرطبي ، دار ابن كثير، دمشق بيروت، ط١ ١٤١٧ هـ

٥٧- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ليحيى بن شرف النووي ، دار إحياء التراث العربي بيروت ط٢، ١٣٩٢ .

٥٨- النكت على صحيح البخاري لابن حجر ، المكتبة الإسلامية ، مصر، ط١ ١٤٢٦ هـ.

مراجع التربوي :

١- مدكور، علي أحمد (٢٠٠١). مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها. القاهرة: دار الفكر العربي.

٢- الأنصاري، فريد (١٩٩٥). التوحيد والوساطة في التربية الدعوية. الجزء الأول، كتاب الأمة، العدد ٤٧، السنة الخامسة عشرة، الدوحة: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية.

٣-الكيلاني، ماجد عرسان (١٩٨٨). أهداف التربية الإسلامية: دراسة مقارنة بين أهداف التربية الإسلامية والأهداف التربوية المعاصرة. المدينة المنورة: مكتبة دار التراث.

٤- الكيلاني، ماجد عرسان (١٩٩٥).مناهج التربية الإسلامية والمربون العاملون فيها. بيروت: عالم الكتب.

٥- الكيلاني، ماجد عرسان (٢٠٠٥). التربية والتجديد وتنمية الفاعلية عند العربي المعاصر. دبي: دار القلم للنشر والتوزيع.

٦- الشوكاني، محمد بن على تحقيق عبد الله بن يحيى السريحي (٢٠٠٨). أدب الطلب ومنتهى الأرب. بيروت: دار الكتب العلمية.